رؤية نقدية لأفكار وجودية
"سارتر نموذجاً"

د / روز هنري جرجس رزق

دكتوراه في الفلسفة الحديثة والمعاصرة

قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

الوجودية Existentialism اتجاه فلسفي يتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألـم، إلا أنها لا تعتبر نظرية فلسفية واضحة المعالم، فقد اعتبرت ثورة على فكر القيم المستبدة التي حرمت الإنسان من الحرية، حيث شعر بالعبودية، وصار سجيناً لهذه القيم.

لقد أرادت الوجودية بفكرها أن تحرر الإنسان وتجعله يعيش واقعه وحاضره دون أن يشعر بالقلق من المستقبل، أو القلق بسبب الماضي. لذلك كان الإنسان هو موضع ومحور اهتمام الفلسفة الوجودية، وعليه تقع مسئولية وضع القيم الخاصة به دون الخضوع إلى أي سلطات أو مبادئ مستبدة متوارثة من الفكر القديم. وعلى هذا الأساس حاول الوجوديون إعطاء الأولوية لوجود الذات على الماهية، فأعطوا الأهمية القصوى لامتلاك الإنسان الحرية المطلقة في التفكير، وخلعوا عنه أي أفكار أو قيم قديمة.

و بذلك اصبحت الحرية مقدسة لدى الفكر الوجودي، فالوجود بدون الحرية يفقد معناه الحقيقي.

و من هذا المنطلق حل الفكر الوجودي محل التعاليم الدينية في المجتمعات الغربية، وظهر خطر الإلحاد من خلال الفكر الوجودي الملحد الذي عمل على إلغاء الأخلاق والمبادئ والتعاليم الدينية التي كانت تمثل أعمدة المجتمع الأساسية، وعلى الرغم من ذلك لا تأخذ الوجودية مكانها بين العقائد والأفكار.

هذا هو سبب اختياري للموضوع، والهدف الرئيس من هذا البحث هو محاولة تقديم رؤية نقدية لأفكارأحد الفلاسفة الوجوديين في القرن العشرين متمثلاً في الفيلسوف الوجودي "جان بول سارتر".

و من ثم تظهر أهمية هذا البحث من خلال إبراز هدفه الرئيس، وهو محاولة تقديم عرض موجز لفكر هذا الفيلسوف، ومحاولة تقديم دراسة نقدية لفكره الوجودي.

وبناء عليه جاء البحث تحت عنوان :

رؤية نقدية لأفكار وجودية "سارتر نموذجاً"

أما عن تساؤلات البحث الرئيسة التي وضعتها الباحثة لتتمكن من طرح الموضوع بصورة جلية فقد جاءت على النحو التالي :

١- لماذا ظهرت الفلسفة الوجودية ؟
٢- ما طبيعة العلاقة بين ظاهرتي الوجود والحرية عند سارتر؟
٣- هل لعب الإلحاد دوراً جوهرياً في وجودية "سارتر" أم كان ثانوياً زائداً عن الحاجة ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسوف تحاول الباحثة الإجابة عن هذه التساؤلات، وذلك باتباع المنهج التحليلي النقدي، حيث تقوم بتحليل الأفكار ونقدها، ومحاولة إبداء الرأي فيها، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأساسية .

ومن هذا المنطلق يشتمل البحث على مقدمة ومدخل تمهيدي ومحورين أساسيين وخاتمة، يعقبها قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة، وفهرس تحليلي للبحث.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدخل تمهيدي

الوجودية[*] حركة ثقافية انتشرت بين الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وقد ظهرت كرد فعل لتسلط الكنيسة وتحكمها في الإنسان بشكل متعسف باسم الدين. والوجودية ليست حركة جديدة، بل جذورها ضاربة في القِدَم؛ فعندما تحررت أوروبا من سلطة الكنيسة أصبح المفكر لا يخاف من نشر أفكاره؛ فاستغل البعضُ أجواء الحرية لنسف كل الحدود الدينية والتقاليد السارية في المجتمع.

الواقع أن التفكير الوجودي حلقة من سلسلة التفكير الإنساني سبقته حلقات أخرى مهدت لقيامه عوامل ومقدمات كثيرة عند فلاسفة اليونان، وفلاسفة العصور الوسطى، والعصر الحديث أيضاً، مما أسفر في النهاية عن نشأة الفلسفة الوجودية المعاصرة[١].

والموضوع الأساسي الذي تدور حوله معظم تأملات الفلاسفة الوجوديين هو ما يسمى "بالوجود"؛ ولكن علينا أن ندرك الفرق بين "الوجود"[**] و"الماهية"[***]؛ لأن ذلك يفيد في فهم اتجاهات الفلسفة الوجودية.

من الصعب تحديد المعنى الذي يتفق عليه الوجوديون لكلمة (الوجود)، ولكنها تدل على الطريقة الخاصة بالإنسان في الوجود . ويرى الوجوديون أن الإنسان وحده هو الذي يتصف بالوجود، وهم نادراً ما يستخدمون كلمة (إنسان)، وإنما يدللون عليه بتعبيرات مثل (الوجود – هناك)[****]، الوجود،"الأنا" Self.

(*) الوجودية Existentialism بالمعنى العام هي إبراز قيمة الوجود الفردي. والمذهب الوجودي هو تيار فلسفي يميل إلى الحرية التامة في التفكير بدون قيود، ويؤكد على تفرد الإنسان، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. وترجع جذور الوجودية إلى (سورين كيركجور) وتعمق فيها (مارتن هايدجر) و(كارل ياسبرز) وفي فرنسا كان (جان بول سارتر) و(و جابريل مارسيل) وغيرهم ..... انظر : جميل صليبا : المعجم الفلسفي، جـ ٢، باب (جـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، صـ ٥٦٥

(١) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون "مذاهب وشخصيات"، دار الطباعة القومية، ١٩٥٩، صـ ٥

(**) الوجود Existence هو الحقيقة الواقعية الدائمة، أو الحقيقة التي نعيش فيها، فهو مصدر (وجود أو كان). انظر : جميل صليبا : المعجم الفلسفي، جـ ٢، مادة : الوجود، صـ ٥٥٨

(***) الماهية Essence هي جوهر الشئ، وتعتبر مستقلة عن وجودها.
Dagobert D. Runes : The Dictionary of Philosophy, Philosophical Library, New York, P.97

(****) الوجود – هناك Daseinهي كلمة استعملها الأسلاميون، ويقول الجرجاني : "الآنية تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية." انظر : مراد وهبة : المعجم الفلسفي، مادة : الآنية، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧، صـ ١١٤
& Michael Inwood: A Heidegger Dictionary, Blackwell Publishers Inc, U.S.A, 1999, P. 42)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"الوجود لأجل ذاته" Being – for – itself .

و من هنا يذهب الوجوديون إلى أن الحياة البشرية في صميمها ما هي إلا تساؤل عن معنى الوجود[١].

و لذلك نشأت الوجودية الجديدة احتجاجاً على الإسراف في العقلانية التي قال بها "هيجل"[*] الذي يرد الموجود إلى الماهية المجردة، فيغفل كل ما فيه من فردية؛ فهي لا ميتافيزيقية تنكر أن يكون الوجود عين الماهية، وتنفر من المذهب والمذهبية، وتقتصر على وصف الظواهر النفسية، فلا تعين قيمة المعرفة بالإضافة إلى "الحقيقة" بل طبقاً لما يبدو من قيمة حيوية في ظواهر الشعور الخالصة من الانفعالات والإرادات والآراء المكتسبة من المجتمع[٢].

وقد انقسمت الوجودية إلى اتجاهين متعارضين :

١- الوجودية الدينية : هي التي تبدأ بتأملات (سورين كيركجور)[**] الدينية، وتضع الإنسان في علاقة مباشرة مع الله كما يفعل "كيركجور" و"ياسبرز"[***].

٢- الوجودية اللادينية : تبدأ بإعلان "نيتشه"[****] عن موت الله، وتترك الإنسان وحيداً منعزلاً، ويمثل هذا الاتجاه نيتشه وهايدجر وسارتر[٣].

ويمكن أن نلخص سمات المذهب الوجودي في الآتي :

---

(١) علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر، مكتبة القومية الحديثة، طنطا، ١٩٩٦، ص ٧

(*) هيجل Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١) يعتبر من أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ومن أهم مؤلفاته : المدخل إلى علم الجمال، أصول فلسفة الحق، ظاهريات الروح ...

(٢) Dagobert D. Runes : The Dictionary of Philosophy, P. 102

(**) كيركجورد Kierkegaard(٥مايو ١٨١٣ - ١١ نوفمبر ١٨٥٥م) الرائد الأول للوجودية، ومن أهم مؤلفاته : الخوف والقشعريرة، التكرار، فكرة القلق، شذرات فلسفية، مراحل على طريق الحياة، طهارة القلب...

(***) ياسبرز Karl Jaspers (١٨٨٣ – ١٩٦٩) من أشهر أعلام الوجودية المعاصرين، وأغزرهم انتاجاً، واوضحهم تفكيراً. انظر : عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة : ياسبرز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٤، صـــ ٦٣٣

(****) نيتشه Friedrich Wilhelm Nietzsche(١٨٤٤- ١٩٠٠م) فيلسوف ألماني مؤسس فلسفة إرادة القوة، ومن أعظم الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين. ومن أهم مؤلفاته: فيما وراء الخير والشر، هكذا تكلم زرادشت، أقوال الأصنام وغيرهم

(٣) حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص ١٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ - هي فلسفة عن (الذات) أكثر منها فلسفة عن (الموضوع)، أي أنها تبدأ من الإنسان لا من الطبيعة. فالذات عند الفيلسوف الوجودي هي الموجود في نطاق تواجده الكامل، فهذا الموجود ليس ذاتاً مفكرة فحسب، وإنما هو الذات التي تأخذ المبادرة في الفعل وتكون مركزاً للشعور والوجدان[١].

اتفق الوجوديون على وجوب الرجوع إلى الوجود الواقعي، والشعور بما تتصف به المذاهب القطعية الصارمة من الغرور، وقياس البعد بين التجريد النظري والتجربة الشخصية[٢].

٢ - يرفض الفكر الوجودي أي محاولة من شأنها حصر الحقيقة داخل تصورات عقلية، أو البحث عن الحقيقة ووضعها في إطارنسق محكم البنيان، أو في بناء منطقي ضروري، أو في مذهب مترابط الأركان ؛ ذلك لأن ثمة أشياء فضفاضة تستعصى على كل حصر، وتفر من كل بناء، وتهرب من الخضوع لسلطة النسق وسلطان العقل.

٣ - لا تزال الوجودية بدون مذهب عام واحد ينتمي إليه جميع الفلاسفة، فوصفت بأنها ليست فلسفة بقدر ما هي أسلوب من التفلسف[٣].

٤ - الوجودية مذهب متفائل؛ لأنها تضع مصير الإنسان بين يديه "فتجعل الحياة الإنسانية ممكنة." [٤]. هذه العبارة قالها "سارتر" في وصف مذهب الوجودية.

٥ - اعتبرت الوجودية العواطف والمشاعر والانفعالات التي تظهر في الذهن البشري شيئاً مهماً وأساسياً، واعتبرت أن هذه المواضيع بعينها هي ما يجعلنا نندمج بكياننا كله في العالم، وهي التي تتيح لنا تعلم أشياء لا نستطيع تعلمها عن طريق الملاحظة الموضوعية وحدها، وبذلك زودنا الوجوديون الثلاثة الكبار بتحليلات عميقة عن القلق والملل والغثيان، وبينوا لنا أنها حالات ذات مغزى فلسفي معين[٥].

هذه هي أهم سمات الفلسفة الوجودية، وإن كان مفكروها قد اختلفوا في طرق معالجة الموضوعات العديدة، إلا أنهم اجتمعوا على هذه الخصائص، واتفقوا جميعاً حولها.

---

(١) جون ماكوري: الوجودية، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة ٥٨، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٢، صـ ١٧

(٢) جميل صليبا : المعجم الفلسفي، مادة : الوجود، ج ٢، صـ ٥٥٨

(٣) علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر، صـ ١٤

(٤) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة، صـ ٤٥٧

(٥) WWW. Syr-res.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوجودية في الفلسفة المعاصرة "سارتر نموذجاً"

ذاعت الفلسفة الوجودية في مختلف الأوساط على يد الفيلسوف "جان بول سارتر" (١٩٠٥- ١٩٨٠) الذي كان له نصيب كبير في تكوين المذهب الوجودي الفلسفي، وبها نال شهرة كبيرة بوصفه من أعلام الوجودية.

لقد أخذ عن "هايدجر" المعاني الرئيسة الكبرى في الوجودية، ثم صاغها صياغة رائعة جديدة فيها ما يدعو إلى اهتمام الكثيرين في صورة أدبية، وتوصل إلى وجهات نظر جديدة قد تفوق "هايدجر" في تحليله لبعض المعاني الكبرى في الوجودية، وهذا ما سنقدمه في وجودية "سارتر" :

(١) أسبقية الوجود عن الماهية :

كان المبدأ السائد في الفلسفة هو أن "الماهية تسبق الوجود" Essence is prior to Existence، فقبل أن يوجد العالم كانت صورته أو فكرته في عقل الله، وقبل أن يوجد شئ تسبق وجوده فكرته عند صانعه، ومن هنا كان يقال إن ثمة طبيعة للإنسان، وهذه الطبيعة الإنسانية وهي التصور الإنساني، توجد عند جميع الناس، أي أن كل فرد من الناس هو مثال جزئي لتصور كلي هو الإنسان.

والوجودية ترفض هذا الرأي وتقول : "الوجود يسبق الماهية" Existence is prior to Essence أي فيما يتصل بالإنسان.

فعلى سبيل المثال : الإنسان يوجد أولاً ويصادف، ويثق في العالم، ثم يتحدد من بعد، فالإنسان في أول وجوده ليس شيئاً، ولا يمكن أن نحده بحده، وعلى ذلك فليس ثمة طبيعة إنسانية، بل الإنسان كما يتصور نفسه وكما يريد نفسه، وكما يدرك نفسه بعد أن يوجد، وكما يشاء هو بعد هذه الوثبة نحو الوجود.

الإنسان يوجد أولاً غير محدد بصفة، ثم يلقي بنفسه في المستقبل، وذلك بالأفعال التي يؤديها، ولهذافإن الإنسان هو أولاً مشروع(*) وتصميم يحيا حياة ذاتية، ولا شئ يوجد قبل هذا المشروع، بل الإنسان هو الذي يصمم مستقبله، ثم يحقق من هذا التصميم ما يستطيع(١).

(*) المشروع Projectعند هايدجر خاصية ال Dasein في كونه ملقى به في العالم . وعند سارتر الإنسان هو مشروع، ولا شيء يوجد قبل هذا المشروع، وبالتالي فالإنسان مسؤول عما يكون عليه.
انظر : مراد وهبه : المعجم الفلسفي، مادة : مشروع، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧، صـ ٥٩٧

(١) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت، ١٩٨٠، صـ ٢٦١- ٢٦٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن الوجود في المذهب الوجودي - عند "سارتر" – يملأ كل شيء ويغزو كل شيء، فتجربة "الغثيان"(*) عند "سارتر" تجربة ميتافيزيقية؛ لأنها تكشف لنا عن أعماق الوجود، ونحن نرى أن هذه التجربة فردية محضة، ولا يمكن أن تكون إلا تجربة "سارتر" وحده.

وتجربة الغثيان هي التجربة التي كشف بها "سارتر" عن معنى الوجود، والغثيان هو الشعور الذي ينتاب المرء حينما يشعر بما في وجود الأشياء من امتلاء.

ولكي يتجنب الناس هذا الشعور بالغثيان يلجأون إلى ثلاث حيل هي العلم والسحر والجنون، فالعلم يضع القوانين المختلفة لتثبيت الحقائق المتفرقة المتكاثرة، وهي شيء لا وجود له في الواقع. والسحر أيضاً اعتقاد في وجود أشياء ثابتة، وماهيات محددة، ومعايير مطلقة لا تتغير. أما الجنون هو أن تخلق عالماً آخرغير هذا العالم الذي نعيش فيه.

إن الوجود عند "سارتر" يملأ كل شيء ويغزو كل شيء، فعالم "سارتر" عالم متضخم دون أي حد أو سبب، وعن طريق "الغثيان" الذي يشعر به "سارتر" نميز بين نوعين من الوجود :

أ- **الوجود الإنساني**: ويسميه (الوجود لذاته) Being – for – itself، وهو الموجود الذي يشعر بنفسه أنه قوة مريدة وفاعلة بشرط أن يكون مجرد تصور ذهني. وهذا الوجود هو الذي يهب للأشياء قيمتها، وقبل أن يأتي الشعور إلى العالم كان هذا العالم فوضى مطلقة لا معنى لها، وهذا النوع من الوجود هو نقصان في الوجود، هذا النقصان لا وجود له في عالم الأشياء؛ ولهذا كان الوجود الإنساني محاولة دائبة ومجهوداً متصلاً لكي يكون ما يريد.

ب- **وجود الأشياء**: ويسميه (الوجود – في – ذاته) Being – in – itself، وهذا الوجود في هوية دائماً مع نفسه، أي أنه هو نفسه دائماً، وذلك لأنه يخلو من الشعور الذي يستطيع به الوجود الإنساني أن يصبح شيئاً آخر غير نفسه، وهذا

(*) الغثيان : إحدى روايات "سارتر" (١٩٣٨)، وبها تنبأ له النقاد بمستقبل عريض في عالم الأدب، لما أمتازت به هذه الرواية من طرافة في الموضوع وأصالة في الفكر والأسلوب. وتتمحور هذه الرواية حول فكرة الوجودية والكينونة، والتي كتبت في أوائل القرن الماضي، وقد يجدها القارىء نوعاً ما ذات طابع مختلف عن الرواية العربية، بحيث إنها تغوص في أعماق النفس البشرية والمعاناة الفردية، وهنا نستطيع أن نقول إنها رواية نفسية بالدرجة الأولى. www.Hawamsh.blogspot.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوجود عند "سارتر" وجود لا معنى له ولا سبب ولا علـــة، ولا ضـــرورة، ولا خالق يفسر وجوده[١].

وكلمة (في – ذاته) تعني معادلاً أو مطابقاً لذاته، أي أنه لا يوجد لأجل ذاته مثـــل الكائن الواعي، بل هو مجرد قائم هناك، ولا شك فيه، وجامـــد، ومتكتـــل، وكثيـــف، ولا يعتريه أي فراغ، ولا يحتمل أي مسافة بينه وبين ذاته، فهو ملاء مطلق خال من الـــوعي، وقد يشار إليه أحياناً بإغفال كلمة الوجود فنقول: " ال - في – ذاته". واستخدام كلمة شـــئ بمعنى الوجود أو الموجود[٢].

من هنا يرى "سارتر" أن الوجود من خلال "الموجود – في – ذاتـــه" لا يمكـــن أن يكون مشتقاً من الممكن، ولا راجعاً إلى الواجب، فالوجود يتعلق بالعلاقـــة بـــين القـــضايا المثالية، لا بالعلاقة بين الموجودات؛ والموجود الظاهري لا يمكن أبداً أن يشتق من موجود آخر، من حيث هو موجود، وهذا ما نسميه إمكان (الموجود – في – ذاته)، لكن (الموجود – في – ذاته) لا يمكن أن يشتق من تراكيب الوجود لذاته، أي أنه ينسب لمكان آخر مـــن أماكن الوجود، و(الموجود – في – ذاته) ليس أبداً ممكناً ولا مستحيلاً، إنما هو موجود[٣].

إن الوجود الإنساني نقصان في الوجود، وهذا النقصان لا وجود له في عالم الأشياء، ولهذا كان الوجود الإنساني محاولة دائبة ومجهوداً متصلاً لكي يكون ما يريد، أي أن يصبح وجوداً في ذاته، أي وجوداً كوجود الأشياء مع الشعور بهذا الوجود أو هذا الكمال[٤].

من هنا نجد أن وجودية "سارتر" لا تعترف بواقع غير واقع الفعل؛ لأنها تقـــرر أن الإنسان ليس شيئاً غير أفعاله[٥].

(٢) الوجود والعدم(*):

يقول "سارتر" : " *العدم لا يمكن أن يكون عدماً إلا إذا انعدم بحق بوصـــفه عـــدماً للعالم؛ أي إذا كان في إعدامه يتجه بحق إلى هذا العالم لكي يتكـــون كـــرفض للعـــالم. إن العدم يحمل في قلبه الوجود.*"[٦].

---

(١) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون، صـــــ ٤٨

(٢) حبيب الشاروني : أزمة بين برجسون وسارتر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، صـــــ ١٠١

(٣) جان بول سارتر : الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط ١، ١٩٦٦، ص ٤٥

(٤) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون، صـــــ ٤٨

(٥) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون، صـــــ ٥٠

(*) العدم Nothingness هو اللاشيء، فهو ضد الوجود، ويمكن أن يطلق عليه اللاوجود، فهو يدل على غياب شيء ما. والعدم إما أن يكون مطلقاً لا يضاف إلى شيء، أو إضافياً وهو المضاف إلى شيء، كقولنا: (عدم الأمن، عدم الاستقرار، عدم التأثر....). انظر جميل صليبا : المعجم الفلسفي، مادة العدم، جـــــ ٢، ص ٦٤

(٦) Sartre, J.P: Being and Nothingness, an Essay on Phenomenological Ontology, Trans by. Hazel. E. Barnes , Routledge, London , 1969, P. 1

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتضح من النص السابق أن "سارتر" يرى (الموجود – لأجل – ذاتــه) – Being for – itself يظهر حينما ينعدم الوجود، ولابد من أن نأخذ كلمة "العدم" بمعناها الحرفي.

ويشرح "سارتر" الأمر بأن العدم لا يكون، بل لا يمكن أن نقول إنــه "ينعــدم" (أي يطبق فعل العدم على ذاته)؛ لأن الموجود وحده هو الذي يمكن أن "ينعدم"، بينمــا العــدم يستطيع وحسب أن يبقى قائماً في داخل الوجود كأنه بحيرة صغيرة(١).

كما بين "سارتر" أن لمفهوم العدم صفة مصطنعة؛ لأنه لا معنى له إلا من جهة مــا هو نفي شيء، أو فقدان شيء، ومعنى ذلك أنه لا وجود للعدم بذاته، إنما الوجــود للكــائن الذي يتصور عدم الأشياء، فكأن العدم لا يجيء إلى العالم إلا عن طريق الإنسان(٢).

إن العدم هو عدم في نظر الإنسان وحده بالقياس إليه، وليس عــدماً فــي الوجــود الموضوعي نفسه مستقلاً عن الإنسان، ومن هنا كان الإنسان في فلسفة سارتر لا يــستطيع إعدام أي موجود موضوعي في ذاته، وإنما كل ما يستطيعه هو إعدام هذا الموجود بالنسبة له وفي نظره فحسب، إنه يستطيع أن يعدم صلته بأي موجود لا أن يعدم الموجــود فــي ذاته(٣).

لقد ظهر العدم بصورة واضحة عند "سارتر" نتيجة تــأثره "بهايــدجر"(*) ومؤلفــه "الوجود والزمان"، على الرغم من أن "هايدجر" صرح لاحقاً بأنه أساء فهم "سارتر".

---

(١) إ.م. بوشنسكي : الفلسفة المعاصرة في أوروبا، صـــ ٢٣٢

(٢) جميل صليبا : المعجم الفلسفي، مادة : العدم، جـــ٢، صـــ ٦٥

(٣) حبيب الشاروني : أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، دار المعارف، ١٩٦٣، ص ١١١

(*) إن العدم عند "هايدجر" ليس مجرد مقوله منطقية وحسب، وإنما هو أيضاً في أصله مقوله وجودية (أنطولوجية) Ontological فليس النفي هوأساس العدم، إنما هو العدم (الموجودي) ontical الذي يؤسس النفي.

و يتمثل "هايدجر" العلاقة بين "الموجود – هناك"Being – there والعدم على النحو التالي :

أولاً : "الموجود- هناك" ليس له عمق، بل يأتي من جوف هاوية بلا نهاية من العدم.

ثانياً : إن نهايته هي الموت، وهو هاوية أخرى للعدم.

ثالثاً : إن محض وجود "الموجود – هناك" هو ركض نحو الموت، إلى العدم : إن "الموجود – هناك" محمول بذاته في داخله نحوالعدم. ويمكن أن يقال بوجه عام : من العدم يأتي كل موجود من حيث هو موجود. وكان يمكن لهايدجر أن يقول: "العدم موجود" .... إن "الموجود – هناك" بالنسبة إلى العدم، هو "النور الطبيعي"، الذي يهب الموجود بنية ومعنى.

انظر :إ.م . بوشنسكي : الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، صـــــ ٢٢٧ – ٢٢٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن "سارتر" رأى أن الشرط الأساسي لإمكان أن نقول (لا) هو أن يكون اللاوجود حاضراً حضوراً مستديماً في أنفسنا. هو أن يكون العدم حائماً حول الوجود. فليس الوجود ملاء محضاً وإنما هو وجود يتخلله العدم(١).

وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن فلسفة "سارتر" تتجه إلى نوع من السلبية الميتافيزيقية التي تقول بأولية العدم على الوجود(٢).

أما عن الفرق بين "السلب"(*) و"العدم" بالنسبة للوجود فيقول "سارتر" : "*إذ لم يوجد السلب لم يكن وضع أي سؤال ممكناً، وخصوصاً السؤال عن الوجود. ولكن هذا السلب نفسه. إذ ما فحص بدقة، فهذا يحيل إلى العدم بوصفه المصدر والأساس. ولكي يوجد السلب في العالم، وبناءً عليه يمكننا أن نتساءل عن الوجود؛ ؛ فمن الضروري أن يكون العدم معطى في بعض الأحوال، حينئذ ندرك أن ذلك العدم لا يمكن تصوره خارج الوجود، لا بوصفه فكرة مكملة مجردة، ولا كوسط لا متناه يكون فيه الوجود حالة مؤقتة. فمن الضروري أن يكون العدم معطى في قلب الوجود، حتى نكون قادرين على إدراك هذا النموذج الخاص من الحقائق التي نسميها بالسلب.*"(٣).

يرى "سارتر" أن السلب – بوصفه تركيباً للحكم- ليس هو الذي يوجد في أصل العدم، وإنما على العكس من ذلك، العدم – بوصفه تركيباً للواقع – هو أصل السلب وأساسه. وعلة ذلك أنه لو لم يكن للعدم حقيقة وراء ما هو ظاهر، فإن السلب نفسه يصير محالاً. وإذا كان الوجود في كل مكان،و إذا كان الوجود ممتلئاً دون أية ثغرة، فإن أي سلب لا يكون متصوراً، ولن تكون هناك غير أحكام موجبة(٤).

العدم عند "سارتر" هو بالكاد أي شيء يتعلق بالوجود، فعلاقة الإنسان بالوجود كعلاقة الذات التي تتجاوز الفشل لتتغلب على هذا السلب أو العدم، إلا أن هذا العدم

---

(١) حبيب الشاروني : بين برجسون وسارتر (أزمة الحرية)، صـــ ٨٦

(٢) المرجع نفسه : صـــ ١٠٩

(*) Negation السلب هو الكلمة الدالة على النفي، مثل (لا) و(لن) فإذا دخلت على القول جعلت معناه سلبياً. كما أنه يعني النفي، فهوالحكم بأن وقوع النسبة بين الشيئين كاذب .
انظر: جميل صليبا : المعجم الفلسفي، مادة : السلب، جـــ ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٨٢، ص٦٦٥

(٣) Sartre : Being and Nothingness, P. 21- 22

(٤) ريجيس جوليفيه : المذاهب الوجودية .....، صـــــ ١٢٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقتضي الوعي ذاته بوصفه مكوناً له، فالعدم (لا)، ولا يوجد سوى سلب الوجود، والوجود وحده هو القادر على تقديم السلب في الوجود الإنساني ذاته أو بشكل أعم هو وجود واع.

أما العدم عند "هايدجر" فيظهر كي يسلط الضوء على الوجود، هذا الوجود يحتفظ بخصائص عدة كالوحدة وغيرها.

الإنسان عند "سارتر" هو الكائن الذي عن طريقه يصل العدم إلى العالم، والإنسان في حد ذاته يجب ألا يكون إلا العدم، فالوجود الذي يأتي من العدم إلى العالم يجب أن يكون منتمياً إلى العدم(١).

أما الإنسان عند "هايدجر" فهو كائن وحيد في العالم صادر عن ماضٍ مجهول متجه إلى مستقبل هو العدم أو هو الموت(٢).

يتضح مما سبق أن "سارتر" يستكمل ما قد بدأه "هايدجر"، بل قد يكون شارحاً لكثير من آرائه، فقد ارتبطت فكرة العدم في فلسفة "هايدجر" بفكرة العدم عند "سارتر"، فالعدم عند "سارتر" يقوم في الوجود، أما العدم والوجود عند "هايدجر" فهما شيء واحد تمثله الآنية أو الوجود الإنساني، وبالتالي تتجه الآنية نحو العدم.

(٣) الإلحاد ودوره في وجودية " سارتر" :

كتب "سارتر" مسرحية الذباب(*) وعرضها على مسرح " لاسيتي " في باريس ١٩٤٣، بينما كانت فرنسا محتلة من ألمانيا منذ ١٩٤٠، وتعتبر هذه المسرحية من أشهر أعمال سارتر، وأحداث المسرحية من أساطير هوميروس اليونانية القديمة، وكانت تهدف للثورة ضد الله، حتى يستطيع الإنسان أن يعيش حراً، يفعل كل ما يريد بضمير مستريح.

---

(١) Christopher Macann : Four Phenomenological Philosophers, Husserl, Heidegger, Sartre, Merleau Ponty, London and New Yourk, 1993, P.118 – 119

(٢) حبيب الشاروني : أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، صـــ ٦٧

(*) الذباب The flies هي أحد الأعمال المسرحية لسارتر، وفيها حاول سارتر أن يوفر للقارىء حرية القراءة بموضوعية هادئة، وذلك فيما يخص قضية الإرادةالحرة، فهو يقوم من خلالها بطرح عدة أسئلة هو بالفعل في حاجة إلى أجوبة عنها، فهو يرى أنه يتوجب على الإنسان أن يتحمل أبعد حدود المسؤولية، حدود يقصدها الإنسان نفسه، تصل إلى حد سؤاله وبحثه عن هل الله موجود أم غير موجود ؟ لذا كانت مسرحيته تدور حول وجود الإنسان في الحياة، وهو له عدة اختيارات يختار منها ما يشاء. فمثلاً يقول عن مشيئة الله سوف يكون، فأنا هنا أحدد وأختار الإيمان بالله أو الكفر به. www. Ar.m.wikipedia.og

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد أعلن "سارتر" بصراحة مباشرة أن فلسفته هى فلسفة ملحدة، وأن حجر الزاوية فيها هو إنكار وجود الله، انطلاقاً إلى تقرير حرية الإنسان ومسئوليته الكاملتين إزاء اختياره ومستقبله، وبالرغم من ذلك فإن فكر "سارتر" يحتوى على معالم ميتافيزيقية لا يمكن تجاهلها، إن فكرة الله تمت مناقشتها (كما يراها سارتر) فى مسرحية الذباب من خلال جوبيتر كبير آلهة اليونان وعلاقاته بأشخاص المسرحية، تخاطب الكترا جوبيتر مظهرة احتقارها واشمئزازها من ذلك الإله الفارغ الذى يعيش على آلام الناس.

- أننا لا نملك إلا أن نشعر أن سارتر هو الذى يتكلم وليست الكترا، وأنه يخاطب إله شارل شفايتزر (الآب) وكأن الكترا هنا تتقمص سارتر الصبى، فهو يعبر عما أصابه من يأس وخيبة أمل إزاء عجز ذلك الإله وفراغه، بل أننا نشعر أنه يسبه ويصفه بالقذارة من فرط حاجته إليه.

وهذا نص مسرحية "الذباب" الذي يظهر إلحاد "سارتر" : تدور أحداث المسرحية في مدينة "أرغوس" Argos التي تتعبَّد للإله " جوبتر"، وكان حاكم المدينة " أغامنون " Agamnon يعيش مع زوجته " كليمنستر " وابنهما " أورست " وابنتهما " إلكترا "، ولكن الزوجة خانت زوجها وقامت بقتله مع عشيقها " أوجيست "، وتولى " أوجيست " حُكم المدينة، وأقنع شعبها بأنهم شركاؤه في الجريمة التي راح ضحيتها " أغامنون"، فشعر الشعب بالندم الشديد ووخز الضمير، وارتدوا ملابس الحداد السوداء، وأرسل الإله " جوبتر " سحابة كثيفة من الذباب الذي ظل يطن كتعبير عن ندم أهل أرغوس الذين سكتوا على اغتيال ملكهم " أغاممنون"، ويصوّر " سارتر " هذا الندم قائلًا :

" جدران ملطخة بالدم، وملايين الذباب، ورائحة مجزرة.. وشوارع مقفرة.. وديدان صعقها الرعب يلطم صدورها في أعماق بيوتها، وهذه الصرخات التي لا تطاق".

ويوضح الإله جوبتر أمرين وهما:

أ- إنه يدعّم سلطة الملك، لأنها صورة سلطة الإله، فيقول "لاوجيست": "لقد صنعتك على صورتي. إن الملك إله على الأرض، نبيل وكئيب كإله".

ب- إنه مسرور بخوف وخنوع أهل أرغوس، فهو يسيطر عليهم عن طريق وخز الضمير، فيقول: "إن للخوف ووخز الضمير رائحة شهية في خياشيم الآلهة"، وكل ما يشغل "جوبتر" أن يظل هذا الشعب خائفاً منه، وإن كانوا لا يحبونه، فقال لأوجيست عن هذا الشعب "لاشك أنهم لا يحبونني كثيرًا".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوجيست: أنهم يخافونك.

جوبتر: هذا كل ما أريده. لست بحاجة إلى أن أُحب.

وأباح " جوبتر " لأوجيست أنه هو أيضًا لا يحب أحدًا، فكل هدفه من هذا الشعب أن ينشغلوا به فلا يجدون وقتًا يكتشفون ذواتهم، فيسعون نحو التحرُّر، ويقول "سارتر " إذا أنفجرت الحرية في قلب الإنسان لم يعد للآلهة أي سلطة عليه".

وبعد طول غياب يعود "أوريست " ابن الملك " أغامنون " الذي اغتالته يد الخيانة بواسطة زوجته وعشيقها أوجست، يعود " أوريست " إلى " آرغوس " وفي " احتفالات التكفير " التي كان أهل آرغوس يقيمونها للتعبير عن ندمهم، وقفت " إلكترا " ابنة الملك " أغامنون " وأخذت تخطب في الجموع تطالبهم بالثورة ضد الطغيان، وكان هذا الخطاب موجهًا في الحقيقة للشعب الفرنسي لكيما يثور ضد الطغيان الألماني. وما أن انتهت "إلكترا" من خطبتها الحماسية التي شدت قلوب الجميع إليها، حتى شعر "أوجيست" بالخطر على حياته، وطرد "إلكترا" من القصر فلجأت إلى المعبد، وهناك التقت بأورست المختبئ هناك ليعد عدة الانتقام من أوجيست، فتعرَّفت "إلكترا" عليه وتعانقا، وأفصح كل منهما عن رغبته للآخر في الانتقام من هذا الملك الشرير، حتى لو كان هذا ضد إرادة "جوبتر" الذي يؤيد سلطة الملك بصورة مطلقة، ويراها أنها امتداد لسلطته. وخوفًا من " أورست " على أخته " إلكترا " طلب منها أن تغادر المدينة، لكنها رفضت وقالت إنها كرَّست حياتها للانتقام من قاتل أبيها، وأيضًا إذا انقضت الحرية على "أورست"، أكتشف أن الحرية تتساوى مع وجوده، فهو لا يوجد إلاَّ بمقدار ما هو حر، ولذلك قرَّر " أوريست " تحدي سلطة الإله "جوبتر" وقتل أمه الخائنة مع عشيقها، وفعلاً نجح "أوريست" في قتل الاثنين.

وهنا بدأت " إلكترا " تشعر بالجرم ووخز الضمير، ولجأت إلى الإله " جوبتر " لينقذها من فظاعة هذه الجريمة التي انتهت بقتل أمها وعشيقها، وبذلت " إلكترا " كل جهدها لترضي الإله، أما " أوريست " الذي كانت شخصيته غير شخصية أخته، فقد قرَّر مواجهة الإله المزيف، وتحرير نفسه وشعبه من سلطة هذا الإله، عندئذ وبَّخ الإله " جوبتر" "أوريست " على جسارته وفعلته الشنعاء، أما " أوريست " فقد صمَّ أذنيه حتى لا يصاب بوخز الضمير ويخضع ويستسلم للإله كما حدث مع أخته، وفي تحدٍ قال " أوريست " للإله: أنك يا جوبتر ملك الآلهة، ملك النجوم والحجر، ملك أمواج البحر ولكنك لستَ ملك البشر.

جوبتر: ألست ملكك أيها الدودة الوقحة؟ من خلقك إذًا؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوريست: أنت. لكن ما كان عليك أن تخلقني حرًا.

جوبتر: منحتك الحرية لتخدمني.

أوريست : لربما، إلاَّ أنها انقلبت عليك، ولا نستطيع بعد شيئًا، لا أنت ولا أنا. منذ أن خلقتني لم أعد ملكًا لك. أنك حتى هذه الساعة كنتُ حجابًا على عيني، وسدادًا من الشمع في أذني، خلقتني لأنفذ خططك. وفجأة انقضت عليَّ الحرية وأتعبتني، وشعرت بنفسي وحيدًا كل الوحدة. ولم يبقَ شيء في السماء من خير أو شر، وما من أحد يلقي إليَّ أوامره[١].

اعتقد "سارتر" أنه اذا كانت الوجودية تنطلق من مبدأ أن الوجود يسبق الماهية، وهى كذلك بالفعل، فإنه من الأنسب منطقياً أن تكون الوجودية ملحدة لأن هذه الفكرة تتطلب الإلحاد.

فيقول "سارتر" فى كتابه الوجودية مذهب إنسانى : "أما الوجودية الملحدة التى أمثلها أنا، تعلن في وضوح وجلاء تامين، أنه إذ لم يكن الله موجوداً، فأنه يوجد على الأقل مخلوق واحد قد تواجد قبل أن تتحدد معالمه وتبين. وهذا المخلوق هو الإنسان، أو أنه كما يقول "هايدجر"، الواقع الإنساني بمعنى أن وجوده كان سابقاً على ماهيته."[٢].

و نلاحظ أن تجربة "سارتر" الوجودية خالية من كل ما يمكن أن يشير إلى الله، فقد أنكر وجوده، بل حاول أن يضع أدلة عقلية تثبت أن وجود الله متناقض في حد ذاته، ويتخذ في ذلك طريقين :

الطريق الأول: يحاول "سارتر" أن يفند فكرة الله ككائن هو عله نفسه مبيناً ما في هذه الفكرة من تناقض فيقول : "إن الله لكي يكون علة نفسه يجب أن يوجد أولاً لكي يصبح بعد ذلك علة لوجوده، أي أنه يوجد قبل أن يوجد، وهذا تناقض واضح، أو بعبارة أخرى يجب أن يوجد الله كعلة أولاً قبل أن يوجد كمعلول، وتظل فكرة وجوده كعلة غير قابلة للتفسير.

الطريق الثاني: إن الله يجب أن يجمع في طبيعته بين الوجود في ذاته – أي وجود الأشياء – وبين الوجود لذاته، أي وجود الإنسان، وكلا الوجودين متناقض مع الآخر، ولا يمكن الجمع بينهما في صعيد واحد، وإلا كان في ذلك خلف واستحالة.

---

(1) http://st-takla.org/books/helmy-elkommos/atheism/sartre.html

(٢) جان بول سارتر : مذهب الوجود الإنساني، ترجمة عبد المنعم الحفني، ط١،١٩٦٤، ص ١٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و من الواضح أن "سارتر" يجعل من الوجود مرادفاً لكلمة "حادث" أو "عارض"، فإذا وجد الله كان حادثاً أو عرضاً ؛ ولأن "سارتر" لا يعترف بالضرورة، فإنه ينظر إلى الوجود العرضي على أنه غير معقول أو لا معنى له، ويسحب هذه الصفة على الله أيضاً، ولو أنه قال بالوجود الضروري، لما اتصفت فكرة الله عنده بهذه اللامعقولية[1].

تعقيب ...

إن فلسفة "سارتر" فلسفة متسقة برغم اختلاف موضوعاتها، إلا أنها تحمل طابع رؤيته العامة، وتتجلى تلك الرؤية في عدة قضايا :

١- أسبقية الوجود عن الماهية : فيها يحدد "سارتر" نوعين من الوجود : الوجود – في – ذاته، والوجود – لذاته؛ ومن خلالهما أثبت أن الإنسان يوجد أولاً، ثم يتعرف على نفسه ويرتبط بالعالم فتكون صفاته.
وهنا يظهر التطرف في فكر "سارتر"؛ لأنه بذلك يلغي الطبيعة البشرية للإنسانية، فوفقاً لرؤيته ليس الإنسان إلا ما يصنعه بنفسه.

٢- الوجود والعدم : إن الوجود لذاته يتحقق معه العدم، ويعتبر "سارتر" - العدم – غاية الوجود الإنساني، وهي غاية تحمل في داخلها السلب، فالعدم في نظر "سارتر" لا يبطل الوجود بل هو صورة من الوجود.

٣- الإلحاد في وجودية "سارتر" : يثبت "سارتر" من خلال وجوديته أنه ملحد، على الرغم من أنه يرى أن لا علاقة بين وجوديته وموقفه من الإيمان بالله، ولكننا من خلال كتاباته تبين لنا أثر الإلحاد واضحاً في وجوديته، والدليل هو اعترافه أنه من يمثل الوجودية الملحدة من ناحية، وكثير من النصوص التي ذكرها في مسرحيته "الذباب" والتي تؤكد على إلحاده.

ولكن علينا أن نشير إلى أن الإله الذي رفضه "سارتر" لم يكن هو الله الذي نؤمن به، فالله في ذهن "سارتر" هو إله متسلط يستعبد الإنسان، لا يهتم بأحد، بل كل ما يشغله هو السيطرة على الإنسان؛ وهذا على العكس تماماً من إلهنا الذي نعبده، فهو الإله الصالح المحب الذي يسعى لاحترام حرية الإنسان.

---

(١) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون، صـــــ ٥٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحـرية وتطورها في وجودية " ســـارتر"

لقد شغلت فكرة الحرية Freedom حيزاً كبيراً من مذهب "سارتر"، بـــل يمكـــن القول إن وجودية "سارتر" دارت كلها حول فكرة الحرية.

و فكرة الحرية عند "سارتر" تختلف كل الاختلاف عن أية فكرة سابقة عن الحرية، فهي تعني لديه الوجود الإنساني بأسره، والأعجب من ذلك أنها تعني العدم(١).

١- الحرية والعدم :

يقول "سارتر" : " *إن الإنسان هو الموجود الذي من خلاله يأتي العدم إلـــى العـــالم. لكن هناك سؤال آخر : ماذا ينبغي أن يكون عليه الإنسان في وجوده من أجـــل أن يـــأتي العدم إلى الوجود من خلاله؟..... لقد سعينا لمحاولة تحديد وجود الإنسان بقدر مـــا كـــان شرطاً لظهور العدم، وهذا الوجود يظهر لنا أنه حرية.*"(٢).

ويقول أيضاً : " *الحرية freedom هي الموجود الإنساني.*"(٣).

من هنا نلاحظ أن ما قاله "سارتر" هو أن الحرية تقوم على العدم، بل هي هذا العدم نفسه؛ فالحرية في فلسفة "سارتر" قدرة من قدرات الروح أوملكة يكتسبها الإنسان، ويمكننا أن نتناولها بعيدة عنه، وأن نصفها كشيء مستقل، وإنما هي في صميم وجوده، بحيـــث لا يمكن تناولها دون أن ندرس الوجود الإنساني .

إن الوجود الإنساني هو الوجود الذي ينفذ عن طريق العدم إلى الأشياء، فهو شـــرط لازم لظهور العدم، وبالتالي فإن الحرية هي شرط لازم للعدم.

إذن يربط "سارتر" من جهة بين الوجود الإنساني والعدم، من حيث إن الوجود لازم لإفراز العدم، وهو يربط من جهة ثانية بين الوجود الإنساني والحريـــة، مـــن حيـــث إن الحرية هي في صميم الوجود تسبق الماهية الإنسانية. معنى ذلك أن الحرية فـــي فلـــسفة "سارتر" مرتبطة بالعدم، من حيث هي شرط لازم لظهوره(٤).

---

(١) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون، صـــــ ٤٤

(٢) Sartre: Being and Nothingness, P. 24,25

(٣) Ibid : P. 28

(٤) حبيب الشاروني : أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، صـــــــ ١١٥ - ١١٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- القلق(*) والشعـــور بالحرية(**):

يقول "سارتر" :

" يعتقد البعض أن من الممكن أن نواجه ما يعترضنا كثيراً : إن الشعور المعـدم لا يوجد إلا بوصفه شعوراً بالإعدام(***)، ومن الممكن تعريف ووصف حالة ثابتة للـشعور، حاضرة كشعور، وتكون بمثابة شعور بالإعدام. وهل يوجد هذا الشعور ؟ .... "

ويعود "سارتر" ليجيب عن هذا التساؤل ويقول :

" إن الحرية هي وجود الشعور، فهذا الشعور يجب أن يكون شـعور الحريـة ... وفي الحرية يكون الوجود الإنساني ماضيه (كما يكون أيضاً مستقبله) في صورة (إعدام). وبالتالي لابد أن يوجد لدى الموجود الإنساني – بوصفه شـاعراً بـالوجود – نـوع مـن المواقف في مواجهة ماضيه ومستقبله... ومن ثم فإن القلق يُشعر الإنسان بحريتـه، أو إن القلق حالة من وجود الحرية بوصفها شعوراً بالوجود، وفي القلق تكون الحرية في حـال من التساؤل عن الذات."(١).

إن الإنسان الحر عند "سارتر" لا يمكن أن يقوم بأي عمل إلا ويصاحبه بالضرورة الشعور بالقلق، فهو يصنع ذاته ويختار ذاته من غير أن يستمد عوناً من السماء أو الأرض، ولهذا فهو لا يختار ويدرك حريته في اختياره إلا وقد لازمه بالضرورة الشعور بالقلق(٢).

(*) Anexiety

(**) Freedom

(***) عند "هايدجر" نجد القلق يكشف عن الحرية التي تقوم على أساس من الضرورة؛ لأننا لا نولد باختيارنا، ولانموت باختيارنا ؛ بيد أن هذه الضرورة لا تجرد الإنسان من كل حريته، بل هي أساس هذه الحرية حين يأخذ الإنسان على عاتقه وضعه في الوجود وموقفه منه، والحرية هي اختيار المستقبل؛ لأنها اختيار بين إمكانيات لكي يصبح الإنسان نفسه، فكأنه بالحرية يختار نفسه، ويتحقق وجودياً.

القلق عند "هايدجر" مرتبط بالحرية حيث إن الحرية تتضمن وضع الإنسان في العالم. وبما أن العالم من شأنه أن يقسر الإنسان ويحد من حريته، فالحرية تعني وضع ما يحد من مجالها. إنها تسمح بأن نصبح مجبرين، وبأن يفرض علينا ما يقسرنا ويحد من حريتنا . فالحرية عند "هايدجر" تتضمن اذن شيئاً من الضرورة. وهنا يظهر الاتفاق واضحاً بين "هايدجر" و"سارتر" في ارتباط القلق بالحرية.

انظر : فؤاد كامل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٣صـــ ٢٠٣

وأيضاً : حبيب الشاروني : أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، صـــ ٦٩

(١) Sartre: Being and Nothingness, P. 28 – 29

Sartre: The philosophy of Jean Paul Sartre, the University of Michigan, 1968, P. 116

(٢) حبيب الشاروني : أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، صـــ ١٢٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن الشعور بالحرية قلق، والقلق في تركيبه الأساسي شعور بالحرية... [١]، فالإنسان ليس فقط حراً، ولكنه يستطيع أن يدرك حريته من خلال القلق، فالقلق هو الوسيلة التي توجد الحرية من خلالها[٢].

وبذلك يكون الإنسان مقسوراً – من حيث هو نشاط حر – على أن يكون حراً بصفة دائمة؛ إنه يمارس حريته في كل فعل وفي كل سلوك، ويحدد "سارتر" : " *إنه مدان بأن يكون حراً.*" ولكن هذه الحرية التي يدان بها الوجود البشري لا يعيها ولا يدركها إلا ويصاب بالقلق . فالقلق شعور مقترن بإدراك الوعي بحريته، وهذا هو ما يعنيه "سارتر"[٣].

٣- الحرية والموت :

يمكننا في هذا الصدد أن نتساءل عن طبيعة الصلة بين الموت والحرية، وشروعه نحو المستقبل أي (الزمان).

الحرية عند "سارتر" ليست هي الإمكان وإنما الاختيار الحر والقائم على الملاشاة[*] والمشروع المستمر للأنا. فحرية الأنا تكمن في تجاوزه المستمر نحو المستقبل. أما الموت فهو ملاشاة لهذا التجاوز، وبالتالي ملاشاة للأنا ذاته. فالموت هنا لا يأتي من الذات، وليس هو من بين إمكانياتها، بل هو أمر خارجي ينتقل بالذات إلى اللاوجود . وما دام الموت لا يأتي من الذات[**]، أي أنه لا ينبني على إمكانيات الذات، وبالتالي لا ينبني على حريتها،

---

(١) Arthur Colemon Danto : Jean Paul Sartre , Modern Masters , Viking Press , 1975, P.73

(٢) Anthony Richards Manser : Sartre – a philosophic Study , The University of California, U.S.A , 1966 , P. 57

(٣) حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر، منشأة المعارف، الاسكندرية، ب. ت، صـــ ١٤٠

(*) يقصد بالملاشاه النفي، والموت عند "سارتر" هو ملاشاة للملاشاة أي نفي للنفي، وبما أن نفي النفي هو الإيجاب فللموت إذن بهذا الاعتبار ناحية إيجابية. (حبيب الشاروني : بين برجسون وسارتر، صـــ ١٥٢)

(**) ينظر "هايدجر" إلى الحرية على أنها الإمكانية، وإلى الموت على أنه إحدى إمكانيات الإنسان أو هو الإمكانية المطلقة باعتبار أنه نهاية وغاية الإمكانات الإنسانية كلها، وبذلك تعتبر الحرية إمكاناً، ويرتبط الموت بها، بل ويصبح مجالاً لها.

إن ماهية الموجود الإنساني عند "هايدجر" ممتد في الزمان عن طريق المشروع الحر الذي يتجاوز المكان والزمان معاً متجهاً نحو المستقبل الذي لم يأت بعد، وهذه الحرية ممكنة؛ لأن الموجود الإنساني من بين جميع الموجودات المتناهية الذي يمكنه أن يدرك البنية الكلية لوجود ذاته، ولأن وجوده متناه، ومحدود، فإن مفتاح إدراكه لذاته يكمن في إدراكه الحد الخارجي أو النهاية (الموت) التي تكشف عن حريته الخاصة. وبذلك يمكننا القول بأن تفكير "سارتر" في الحرية، والنتائج التي ينتهي إليها لمن أكثر المواضع اختلافاً مع تفكير "هايدجر".

انظر : صفاء عبد السلام : موت الإمكانية وإمكانية الموت، مؤسسة حورس الدولية، ط ١، الاسكندرية، ٢٠٠٦، صـــ ٦٦- ٦٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما دامت كل المعاني الخاصة بحياة الذات لا تأتي إلا من الذات نفسها بمقتضى حريتهـا، فإن الموت لا يضفي على الحياة من الخارج أي معنى، بل بالعكس، كل ما يمكنه أن يفعله هو أن ينزع من الحياة كل معنى؛ لأنه يضع النهاية لكل نشاط له معنى ... إنه يعدم الذات ويلاشيها، فتصبح بكل ما لديها من مشاريع وإمكانيات منتفية المعنى(١).

يقول "سارتر" :

"*لا يوجد مكان للموت في الوجود – لأجل ذاته، فلا يمكن أن ينتظره أو يحققه أو يشرع نحو ذاته؛ فليس للموت طريق أساسي لتناهيه. وبشكل عام لا يمكن للموت أن يكون قائماً من الداخل كمشروع للحرية الأصلية، ولايمكن أن يتلقى من الخارج الوجود – لأجل – ذاته كصفة.*

فما الموت إذن؟ لاشيء سوى أنه سمة مؤكدة للوقائعية(*) *وللوجود – لأجل الآخر؛ أي أنه لا شيء آخر سوى أنه معطى.*"(٢).

ويقول أيضاً :

"*تظل الحرية التي هي حريتي كلية ولا متناهية؛ لا لأن الموت لا يحدها؛ لأن الحرية لا تلقى أبداً هذا الحد، فالموت ليس عقبة في سبيل مشروعاتي، فهو فقط مصير مكان آخر لهذه المشروعات."أنا لست حراً لأموت، ولكني كائن فان حر.*"(٣).

من هنا نرى أن الموت عند "سارتر" يحمل بعض الجوانب الإيجابية، فهو يكشف النقاب عن حريتنا وهذه هي وظيفته الأولى، بل إن المرء قد يتجاوز ذلك فيذهب إلى القول بأن الموت لا يحقق فحسب الكشف عن الحرية، بل يحرر الإنسان بالفعل من عبء الوجود(٤).

---

(١) حبيب الشاروني : بين برجسون وسارتر، أزمة الحرية، صـــ ١٥٢

(*) الوقائعية facti ty يقصد بها الجانب الداخلي للتمسك بالوقائع، فهي ليست حالة ملحوظة للأشياء؛ وإنما هي الوعي الوجودي الداخلي لوجود المرء الخاص كواقعة لابد من قبولها.
انظر : صفاء عبد السلام : موت الإمكانية أو إمكانية الموت، صـــ ١٦

(٢) Sartre : Being and Nothingness, P. 547

(٣) Ibid : P. 547

(٤) جاك شورون : الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٧٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤، صـــ ٢٨٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبذلك يوضح "سارتر" أن بمقدور الإنسان أن يختار الموت، ولكنه لا يستطيع أن يموت وفقاً لمشيئته، وأخيراً فإن للحرية طابعاً ينطوي على مفارقة، فليس هناك حرية إلا في موقف، وليس هناك موقف إلا من خلال الحرية، والواقع الإنساني يصطدم في كل مكان بعقبات لم يخلقها، لكن ضروب المقاومة والعقبات تلك لا معنى لها إلا من خلال الاختيار الحر الذي هو الواقع الإنساني، وهذا الاختيار الحر يستلزم المسئولية، فالإنسان - فيما يرى "سارتر" - "محكوم عليه بأن يكون حراً"، وباعتباره كذلك "فإنه يحمل على كاهله عبء العالم بأسره"، أي أنه مسئول عن العالم بالمعنى العادي لهذه الكلمة باعتباره المبدع بغير منازع للأحداث أو لموضوع ما."[١].

إذن الموت عند "سارتر" حد غير قابل للإرادة، وخارج عن حريتي، ولا ألتقي به إطلاقاً على أنه قيد فوق هذه الحرية. إنه ليس عائقاً لحرية الوعي. فمشروعات الوعي تقوم مستقلة عنه: إنها تعني التجاوز المستمر الحر نحو المستقبل. وهو يعني لحظة الحياة التي ليس لنا أن نحياها أبداً[٢].

٤- العلو(*) وحرية الإنسان:

الحرية في فلسفة "سارتر" ليست قدرة من قدرات الروح أو ملكة يكتسبها الإنسان...، وإنما هي في صميم وجود الإنسان، بحيث لا يمكن تناولها بدون الوجود الإنساني . وإذا كان الوجود الإنساني شرطاً لازماً لوجود العدم، فإن الحرية هي أيضاً شرط لازم للعدم[٣].

يقول "سارتر" :

" *إن الحرية لا ماهية لها، ولا تخضع لأية ضرورة منطقية . وتصير فعلاً؛ ونبلغها* عادة من خلال الفعل الذي ننظمه من البواعث والدوافع والغايات التي يتضمنها الفعل .... فالحرية هي الأساس في كل الماهيات ؛ لأنه بتجاوز العالم إلى ممكناته الخاصة، يكشف الإنسان عن الماهيات داخل العالم . لكن الأمر يتعلق بحريتي أنا."[٤].

---

(١) المرجع السابق : صـــــ ٢٨٣

(٢) حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر، منشأة المعارف، الإسكندرية، صـــ ٢٣٤

(*) Transcendence

(٣) حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر، صـــ ١٣٣

(٤) Sartre : Being and Nothingness, P. 438

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و من ثم فإن ماهية الوجود الإنساني مرتبطة بحريته، وما يسمى حرية لا يمكن تمييزه عن وجود "الحقيقة الإنسانية" . فالإنسان لا يوجد أولاً ليكون بعد ذلك حراً، وإنما ليس ثمة فرق بين وجود الإنسان و"وجوده حراً"[١].

يحدد "سارتر" أن الحرية هي قدرة الوعي على أن يفرز عدمه الخاص، كما أن الحرية هي قدرة الوعي على أن يقرر ذاته . ويتضح ذلك من خلال النظر في الوعي الإنساني من حيث إنه يفكر في ذاته وفيما عداه من الأشياء، فإن الوعي الإنساني يضع بذلك خارجه كل ما هو ليس إياه[٢].

وعلى هذا الأساس يرى "سارتر" أن الكائن الواعي حر؛ لأن رفض الماضي وتجاوزه، وكون الإنسان متجاوزاً لذاته متجهاً نحو إمكانيات السلوك المستقبل ونحو ما يرسمه لنفسه إنما يعني أن الإنسان حر أو بالأحرى الإنسان هو الحرية.

الحقيقة الإنسانية إذن هي الحرية الإنسانية – عند "سارتر" – هي هذا الرفض المستمر بحيث لا يستطيع الإنسان أن يقرر ما هو كائن ؛ لأنه بينما يحاول أن يتكلم، فإن ما يتكلم عنه ينزلق إلى الماضي ويصبح ما كان وليس ما هو كائنه[٣].

تعقيب ..

"الحرية" هي أساس الفكر الوجودي عند "سارتر"، وبها ربط "سارتر" بين الحرية وأربعة أمور :

١ - **الحرية والعدم**: الحرية تقوم على العدم، بل هي هذا العدم نفسه. ومن الحرية يكون القلق.

٢ - **الحرية والقلق**: الإنسان الحر لا يمكن أن يقوم بأي فعل إلا ويصاحبه بالضرورة الشعور بالقلق؛ أي أنه لا يختار ويدرك حريته في اختياره إلا ويشعر بالقلق .
فهنا الحرية لا يعيها الموجود الإنساني ولا يدركها إلا ويصاب بالقلق .
فالإنسان الحر لا يمكن أن يقوم بأي عمل إلا ويشعر بنوع من القلق. القلق إذن هو الشعور بالحرية ذاتها.

---

(١) حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر، صـــ ١٣٣
(٢) حبيب الشاروني : أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، صـــ ١١٨
(٣) حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر، صـــ ١٣٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ - **الحرية والمـــوت**: الحرية والموت في فلسفة "سارتر" ليـــست إمكانيـــة بـــل هـــي "الاختيار الحر" القائم على الملاشاة والشروع المستمر للأنـــا نحوالمـــستقبل. أمـــا الموت فهو ملاشاة للأنا ذاته، فهو لا يأتي من الذات ولا ينبني علـــى إمكانيـــات، وبالتالي لا ينبني على حريتها.
إن الموت في نظر "سارتر" ليس عائقاً لحرية الوعي، فمشروعات الوعي تكـــون مستقلة عنه، إنها تعني التجاوز المستمر نحو المستقبل .

٤ - **العلو وحرية الإنسان**: لقد ارتبط العلو بالحرية الإنسانية في فلـــسفة "ســـارتر"، إن الذات في فلسفة "سارتر" مفارقة دائماً لنفسها وفي تجاوز مستمر لـــذاتها، وهـــي ليست إلا هذا التجاوز. وهذا التجاوز هو الذي يتيح للإنسان أن يكون هـــو نفـــسه أساساً خالصاً لذاته، أي هو الذي يصنع ذاته . وهذه هي الحرية عند "سارتر" .

*** **** ***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة

من كل ما تقدم يمكننا أن نقول عن فلسفة "سارتر" بأنها :

١- فلسفة المبالغة في نبذِ كل موروث عقدي وأخلاقي وقيمي، حيث دعت للحرية المطلقة دون قيد أو حدود، بها يرفض الإنسان كل القيود؛ دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية، وهذا المبدأ مرفوض تماماً .

٢- تؤمن إيماناً مطلقاً بالوجود الإنساني، كما تؤكد على اعتقاد "سارتر" بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود، وما قبله كان عدماً، وأن وجود الإنسان سابقٌ لماهيته.

٣- فكر وجودي ملحد، وقد انتشر الفكر الوجودي الإلحادي لسارتر من خلال مسرحياته (مسرحية الذباب)، والتي كان لها أثر كبير في كثيرين خاصة في فرنسا.

وفي ضوء ما تقدم، ومن خلال الرؤية النقدية لوجودية "سارتر" عبر آرائه، نحاول أن نجيب عن أهم التساؤلات التي وردت في مقدمة هذا البحث من خلال بعض النتائج التي توصلت لها الباحثة :

س١ : لماذا ظهرت الفلسفة الوجودية ؟

ظهرت الفلسفة الوجودية كرد فعل قوي لتعسف الكنيسة في ذلك الوقت، ومن ناحية آخرى كرد فعل لحالة اليأس والألم التي أصابت الكثيرين بعد الحرب العالمية الثانية، وانتشار حالة من العبث واختلاط المفاهيم وانعدام معنى الحياة، ومن ثم ظهرت الوجودية لتتبع مبدأ "الوجود هو كل شيء واقعي ملموس".

س٢: ما طبيعة العلاقة بين الوجود والحرية عند "سارتر" ؟

الوجود عند "سارتر" هو الوجود الفردي، والحرية عنده هي القدرة على الاختيار، والاختيار يعني الحرية، والحرية هي وجود الإنسان، وبقدر ما تكون حريتي يكون وجودي، فوجودي يعني أني أعي أني حر، وأعيش حريتي بكل نشاط، والوجود يتجلى من خلال هذا النشاط.

يمكننا أن نقول إن حرية الإنسان في نظر "سارتر" هي الشيء الوحيد الذي لا يمكن للإنسان أن يهرب منه أو يرفضه؛ لأن حريته هي وجوده.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

س٣ : هل لعب الإلحاد دوراً جوهرياً في وجودية "سارتر" أم كان ثانوياً زائداً عن الحاجة ؟

نعم، لقد لعب الإلحاد دوراً جوهرياً في وجودية سارتر؛ وذلك لأنه قال بأسبقية الوجود عن الماهية، وهذه الفكرة تتطلب الإلحاد؛ لأن فيها اعترف "سارتر" أن الله غير موجود، فهو يرى أن الأعتراف بوجود الله يجعلنا نقول دائماً بأسبقية الماهية عن الوجود.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأجنبية:

1) Sartre. Jean Paul: Being and Nothingness an Essay on Phenomenological Ontology, Trans by. Hazel. E. Barnes, Routledge, London , 1969
2) ……..... : The Philosophy of Jean Paul Sartre, The University Of Michigan, 1968

ثانياً : المراجع الأجنبية:

1) **Anthony Richards Manser: Sartre – a Philosophic Study, the University of California, U.S.A, 1966**
2) **Arthur Colemon Danto : Jean Paul Sartre , Modern Masters , Viking Press, 1975**

ثالثا : القواميس الأجنبية:

1) **Dagobert D. Runes : The Dictionary of philosophy, Philosophical Library, New York**

رابعاً : المصادر العربية:

١) جان بول سارتر : الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط ١، ١٩٦٦

خامساً : المراجع العربية:

١) حبيب الشاروني : أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، دار المعارف، ١٩٦٣
٢) ..... : فلسفة جان بول سارتر، منشأة المعارف، الاسكندرية، بدون تاريخ
٣) ريجيس جوليفييه : المذاهب الوجودية من كيركجور إلى جان بول سارتر، ترجمة فؤاد كامل،ط ١، دار الأداب، بيروت، ١٩٩٨
٤) صفاء عبد السلام : موت الإمكانية وإمكانية الموت، مؤسسة حورس الدولية، ط١، الاسكندرية، ٢٠٠٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥) عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت، ١٩٨٠
٦) علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر، مكتبة القومية الحديثة، طنطا، ١٩٩٦
٧) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون، سلسلة مذاهب وشخصيات، عدد ٤٠، مطابع الدارالقومية، القاهرة، ١٩٦٥
٨) فؤاد كامل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٣
٩) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧

سادساً: دوريات عربية متخصصة :

١) إ.م . بوشنسكي : الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٦٥، ١٩٩٢
٢) جاك شورون : الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٧٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤
٣) جون ماكوري : الوجودية، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٥٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢

سابعاً : موسوعات فلسفية عربية:

١) عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة، جـــ ١، جـــ ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت، ١٩٨٤

ثامناً : معاجم فلسفية عربية:

١) جميل صليبا : المعجم الفلسفي، جـــ ١، جـــ ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢
٢) مراد وهبة : المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com